

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

موضوع «دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر»<sup>(١)</sup> يمثل جانبا هاما في تاريخنا القومي وحضارتنا في عصر المماليك، ذلك أن الظاهر برقوق قد وضع لدولته سياسة محددة، أتاحت له التصدي للمغول والصليبيين، كما حفظت لدولته زعامة العالم الإسلامي، مع دعم صداقتها في الوقت نفسه مع الدول التي لها معها مصالح أدبية أو مادية في أوروبا وآسيا وإفريقيا، وبفضلا عن ذلك فقد نتج عن السياسة التي انتهجها برقوق في بناء دولته توطيد دعائم الحكم فيها، كما مكنته أيضا من إنقاذ مصر وسورية من عوامل الضعف التي تعرضت لها من الداخل والخارج في أواخر دولة المماليك الأولى، زمن أولاد الناصر محمد بن قلاوون وأحفاده، وهو الأمر الذي جعل لدولة السلطان برقوق شخصيتها ونفوذها في الداخل والخارج.

وقد اشتمل البحث على سبعة أبواب:

تناول الباب الأول — الحالة السياسية في مصر قبل سلطنة برقوق، فعالج الظروف التي ساعدت على ازدياد نفوذ المماليك البرجية، والعوامل التي أدت إلى انتقال الحكم من أيدي المماليك البحرية إلى المماليك البرجية بزعامة واحد منهم وهو برقوق.

وتناول الباب الثاني — الموقف السياسي الداخلي في عهد السلطان برقوق، والصعوبات التي واجهته على أثر تقلده سلطنة مصر، والأسباب التي نحتت بعيدا عن السلطنة ثم عودته ثانيا إليها.

كما تناول البحث أيضا الموقف السياسي الداخلي في عهد فرج بن برقوق، والعقبات التي صادفته في بداية سلطنته، وكيف اعتزل السلطنة ليتولى أخوه بدلا

(١) هذا البحث عبارة عن رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

منه، ثم عودته ثانيًا إلى السلطنة، ثم ما كان من انشغاله في هذه الفترة من حكمه بمقاومة الثائرين عليه في الشام، حتى انتهى الأمر بهزيمته وقتله.

وخصص الباب الثالث — للعلاقات الخارجية في عهد برقوق وابنه فرج، فتناول العلاقات بين مصر والدول العربية الآسيوية وهي الحجاز واليمن، وكذلك العلاقات مع الدول الإسلامية في شمال إفريقيا، وهي: دولة بني حفص بتونس، ودولة بني زيّان بتلمسان، ودولة بني مَرين بفاس والمغرب. كما عالج البحث سياسة مصر إزاء بلاد النوبة والحبشة، وكذلك العلاقات مع العثمانيين.

وتناولت الدراسة أيضًا العلاقات بين مصر والدولة البيزنطية، كما تناولت علاقة مصر بالقوى الأوروبية.

أما الباب الرابع — فقد تناول الجيش والبحرية في عهد برقوق وابنه، فعالج نظام ديوان الجيش في تلك الفترة، وكذلك قيادات الجيش وفرق الجند وأساليب الحرب في ذلك العهد، ثم تناول الأسطول البحري الذي أنشأه برقوق على أثر اعتقاله سلطنة مصر.

وخصص الباب الخامس — للإدارة، فتناول كبار الموظفين الإداريين بالعاصمة الذين يمثلون الإدارة المركزية، ككنايب السلطنة، والأتابك، والوزير، ووالى القاهرة. كما تناول الإدارة الإقليمية التي تمثلت في عدد من نواب السلطنة بالمدن الكبرى بالوجهين القبلى والبحرى، فضلًا عن معاونيهم من الولاة بالأقاليم المختلفة.

كذلك عالج تطور نظم الحكم والإدارة في تلك الفترة، كما عالج الدواوين الحكومية التي اعتمدت عليها الأجهزة الإدارية المختلفة.

أما الباب السادس فقد خصص لدراسة الحياة الاقتصادية، فتناول الموارد المالية للدولة ومصادر الإيراد، كما تناول أوجه النشاط المختلفة لسكان البلاد من زراعة وصناعة وتجارة، وكيف نشطت حركة التجارة بأسواق العاصمة في عهد السلطان برقوق وأفاد منها التجار كما أفادت منها الدولة، كذلك تناول هذا الباب

التدهور الاقتصادي في عهد السلطان فرج بن برقوق، وكيف تأثرت العاصمة وأسواقها بعوامل سياسية واقتصادية، أدت إلى تدهور الحالة الاقتصادية في الأسواق، وإثارة الخوف في النفوس.

وخصص الباب الأخير لدراسة الحياة الاجتماعية، فتعرض للعناصر المكونة لسكان مصر وقتئذ، وكيف أن أغلب هذه العناصر حظيت بعناية السلطان برقوق واهتمامه، ولا سيما جماعة العلماء الذين تمتعوا بقسط وافر من الاحترام والتقدير من جانب السلطان برقوق.

كذلك تناول البحث الملابس التي ميزت طبقات المجتمع المختلفة، كما تناول الأعياد الدينية والقومية وكيف اصطبغت الحياة الاجتماعية زمن السلطان برقوق بمظاهر البهجة والترف، ثم تعرضت للاهتبار على عهد ابنه فرج.

كما تناولت الدراسة نظرة برقوق إلى المؤسسات التعليمية، وكيف أن عنايته بتلك المؤسسات كانت تفوق في كثير من الأحيان عنايته بالقصور والمنشآت الدنيوية، وقد حاكاه في هذا الشأن الأمراء والتجار وذوو اليسار من طبقات المجتمع المختلفة.